

# الجزائر والقومية العربية

بقلم الدكتور أبو القاسم سعد الله

العربي الحديث . ذلك ان المقاومة العنيفة المستمرة التي واجهها الاحتلال كانت مقاومة عقائديه وشعبيه . فمن الناحية العقائديه كانت تمثل الصراع بين حضارتين مختلفتين وفوميتين لا يمكن التعاضل بينهما . ومن الناحية الشعبية كانت مقاومة الشعب العربي في الجزائر تمثل آفمه العاطفية ( الوطن ، الشرف ، المنكيه ، الكرامه ) للنضال العربي . وهكذا يمكن اعتبار افكار حمدان خوجة وكفاح الإمبر عبد العادر تمثل الاتجاه العفاندي بينما تمثل تورات الفلاحين والادب الشعبي الاتجاه العاطفي .

ولكن لا بد من تحذير حول هذه النقطة . ان المقاومة العربية في الجزائر كانت تعبيراً عن الفوميه الاسلاميه والعربيه معا . فبالنظر الى ان الدين قد لعب دوراً هاماً في توجيهها . وان فادتها قد نادوا بالتضامن الاسلامي لصد العدوان تعتبر حركة رائده للقومية الاسلاميه . وبالنظر الى ان من قاموا بها كانوا عرباً ، وان هدفها كان تحرير جزء من الوطن العربي ، تعتبر حركة رائده للقومية العربية . والحقيقة ان هذا الدور الثنائي للمقاومة الجزائرية قد استمر الى ان انفصلت القوميتان الاسلاميه والعربية بعد الحرب العالميه الاولى . بل من الممكن القول بأنه استمر الى يومنا هذا حيث يصعب الان الفصل بين القوميتين في الوثائق الجزائرية حتى تلك التي صدرت بعد الاستقلال .

## ٢ - معنى القومية العربية

من الممكن تعريف القومية العربية بأنها حركة ايديولوجية ، وعاطفية ، وثقافية ، وسياسية تستهدف توحيد جميع العرب باعتبارهم ينتمون الى امة واحدة تشترك في التاريخ والأغة والحضارة والمصالح والمضير . انها حركة ايديولوجية لان لها مضموناً فلسفياً وانسانياً . وهي حركة عاطفية لانها تقوم على رد فعل جماهيري وغيره على التراث القومي وحماس روجي لتحقيق رسالتها . وهي حركة ثقافية لانها تؤمن بايجابية الحضارة العربية ماضياً ومستقبلاً ، وتعتمد على لغة أثبتت قدرتها على ترجمة الافكار الانسانية في شتى صورها وعصورها . واخيراً فهي حركة سياسية لانها ترمي الى الوحدة الشاملة بين اجزاء الوطن العربي ، وتدافع بكل قوة عن تراث وشخصية وحدود الامة العربية . ومن الواضح ان القومية

سببان دعواني الى كتابه هذا المقال : الاول هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه مؤرخو القومية العربية ، من عرب واجانب ، حين تناولوا زمان ظهور هذه الحركة . ومكانها واسبابها . والثاني هو النزعة الغربية التي تروج الان في الجزائر لأقلمة الثورة على اساس انها توره احماد يوغرطه ضد احماد الرومان وليست توزه احماد الفافقي ضد احماد شارل مارتل (١) .

## ١ - في المنطق التاريخي

يقوم هذا البحث اساساً على المقدمات والنتيجة التالية : (١) ان الوطن العربي كان دائماً يمثل وحدة متكاملة . (٢) ان هذا الوطن كان السى عام ١٨٣٥ يخضع للنفوذ الروحي للخلافة الاسلاميه . (٣) انه الى ذلك التاريخ لم تظهر اية حركة قومية عربية بالمفهوم الحديث للقومية . (٤) ان قومية اية امة هي اساساً رد فعل ضد خطر اجنبي سواء كان حقيقياً او تصورياً . (٥) ان الجزائر كانت اول جزء من الوطن العربي يتعرض لمثل هذا الخطر الاجنبي . والنتيجة هي ان مقاومة الشعب العربي في الجزائر منذ ١٨٣٠ تعتبر اول مظهر من مظاهر القومية العربية بمعناها الحديث .

وهكذا ، فباستعمال المنطق التالي يمكن الوصول الى هاتين المعادلتين : **المعادلة الاولى** ( أ ) كانت الجزائر عام ١٨٣٥ جزءاً من الوطن العربي . ( ب ) كل اعتداء على جزء من هذا الوطن يعتبر اعتداء على كله . ( ج ) اذن فالاغتهاء الفرنسي على الجزائر اعتداء على الوطن العربي . **المعادلة الثانية** - (١) المقاومة العربية في الجزائر التي تلت الاحتلال الفرنسي كانت رد فعل ضد الخطر الاجنبي . (ب) كل حركة مقاومة عربية ضد الخطر الاجنبي هي حركة قومية . ( ج ) اذن فالمقاومة العربية في الجزائر حركة قومية .

ومن هنا يظهر ان الجزائر كانت مركز ميلاد القومية العربية ، وان عام ١٨٣٠ كان عاماً حاسماً في التاريخ

(١٠) يوغرطه هو بطل نوميديا ( الجزائر القديمة ) السذي حارب الرومان بشجاعة ولكنهم في النهاية اسروه فمات في احد سجون رومة . اما الفافقي فهو بطل معركة توربواتي ( ٧٣٢ ) ضد الفرنجة بقيادة شارل مارتل .

ويعتبرون ثورة الشريف حسين ثورة عربية صميمة ضد النظام التركي الدخيل .

ورغم ان هذه النظرية شائعة فهي غريبة حقا. فهي من ناحيه ببالغ في وصف اضطهاد الازراك للعرب ولكنها سدت عن اضطهاد الاجانب الاخرين لهم . وهي من ناحية اخرى تركز على معارضة العرب بهؤلاء الازراك ولكنها في نفس الوقت تهمل معارضة العرب للاجانب الاخرين. وهكذا، فنصال الشعب العربي في مصر وسوريه ضد نابوليون ، ونجاح الشعب العربي في الجزائر و تونس والمغرب للاحتلال الفرنسي والاسباني ، وجهاد الشعب العربي في مصر والسودان ضد الاستعمار الانكليزي - لا يذكره اصحاب النظرية السائغة مظهرا من مظاهر الثورة العربية التي دانت في الحقيفة بتجاوب على الصعيد الشعبي رغم انها دانت بفتور الى النسبي على الصعيد القيادي .

وادن ، ما اسباب هذه المغالطات التاريخية ؟ من الممكن بلحيصها في النقاط التالية . (١) التعريف المغرض بين المشرق العربي والمغرب العربي على اساس النظرية الاستعمارية التي تزعم بان المغرب العربي « ينتمي » الى الحضارة العربية ولكنه لا يتفاعل معها . (٢) النظرية الاستعمارية التقليدية التي تعتبر الحكم الاوروبي دائما منفذا ومثقفا ، اما الحكم الشرقي فهو دائما اضطهادي ومتخلف . (٣) الصمت على الثورات العربية ضد الاستعمار الغربي وتجريدها من الصبغة القومية . (٤) التركيز على اعتبار القومية العربية رد فعل ضد الحكم التركي فقط . (٥) تضارب مصالح الدول الاجنبية في الشرق الادنى واهمية المشرق العربي دون المغرب العربي من الناحية الاستراتيجية . (٦) الفكرة التي روجها الاستعمار وقبلها المؤرخون الى وقت قريب ، وهي ان الجزائر كانت «جزءا» من فرنسا . (٧) اقليمية وغموض بعض الحركات القومية ابان ظهورها . كل هذه العوامل ادت الى التفسير الخاطيء لمكان وزمان واسباب ظهور القومية العربية . ومن سوء الحظ ان هذه المغالطات كانت وما تزال تشيع في تاريخ العرب الحديث .

#### ٤ - حمدان خوجة والقومية العربية

يمكن اعتبار حمدان خوجة رائدا للقومية العربية لثلاثة اسباب : الاول انه اول مثقف عربي قد حاول اعطاء تعريف للقومية العربية بمفهومها الحديث . الثاني انه اول مثقف عربي نظم حزبا سياسيا قوميا لمعارضة الاحتلال الاجنبي وتحرير جزء مقتصب من الوطن العربي . الثالث انه اول مثقف عربي نفاه الاستعمار من ارض ابائه واجداده، بعد ان حاكمه وصادر املاكه ، لاسباب سياسية قومية . ولكن من هو حمدان خوجة ؟ وكيف ادى هذه الرسالة ؟

اسمه الكامل هو سي حمدان بن عثمان خوجة . ولد بالجزائر من اسرة عربية عريقة سنة ١٧٧٣ ومات منفيًا

العربية بهذا المعنى ليست حركة عنصرية ولا طائفية . انها ، ببساطة واختصار ، حركة قومية ، دفاعية ، انسانية . ولكن ما هو الوطن العربي ؟ انه ليس المنطقة الجغرافية التي حددها السياسيون فقط ، وليس الحدود التي تظهر في السعار « من الخليج الى المحيط » فحسب ، ولكنه يشمل جميع المناطق « الناطقة بالضاد » التي يؤمن اهلها بالقومية العربية ، بناء على التعريف السابق ، باعتبارها حره قومية بضالته انسانية . فلو اعترفت صوماليا ، مثلا ، بان تاريخها ، ولغتها ، وحضارتها ، ومصالحها ، ومصيرها ترتبط جميعا بالامة العربية لاصبحت جزءا من الوطن العربي .

غير انه من الواضح ان القومية عاممة بمفهومها الحديث لم تظهر الا بعد الثورة الفرنسية ، ولم تنتشر وتنعو في اوروبا الا بعد وحدتي المانيا وايطاليا . ولم تتخذ شكلا ايجابيا في العالم الثالث الا بعد الحرب العالمية الاولى . اما القومية العربية فقد ظهرت ، على الاقل بناء على التعريف السابق ، في مقاومة الشعب العربي في الجزائر للاحتلال الفرنسي اي منذ ١٨٣٥ .

#### ٣ - المغالطات واسبابها

والحق ان اصحاب النظرية السائغة في تاريخ القومية العربية يذكرون عدة مظاهر يرونها تعبر عن هذه الحركة . ولكنه يجب الاعتراف بان معظم هذه المظاهر لم يكن قومية في شيء ، وذلك للاسباب التالية : (١) لم تكن الثورة الوهابية سوى حركة دينية رجعية هدفها تطهير الدين لا وحدة العرب ضد الاجانب . (٢) لم تكن مقامرات محمد علي سوي خدمة لفرنسا وطموح شخصي لتدعيم اسرته لا خدمة للقضية العربية . (٣) ان المنظمات السرية التي ظهرت في المشرق العربي خلال القرن الماضي قد كونتها او حمتها ، في اغلب الاحيان ، الجمعيات التبشيرية الاجنبية لضرب الخلافة الاسلامية المتداعية وتثبيت اقدام الامبريالية الغربية . ومن المعروف انه قد كان لكل من روسيا ، واميركا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والبابوية ، جمعيات تبشيرية متضاربة المصالح والاهداف في الشرق الادنى (٢) . (٤) ان ثورة الشريف حسين كانت ثورة اقطاعية لا قومية . ومن ناحية اخرى فقد كانت هذه الثورة في حد ذاتها كسبا للاستعمار والصهيونية لا للعرب كما اثبتت احداث ما بعد الحرب .

ولكن اصحاب النظرية السائغة في تاريخ القومية الغربية يصرّون على ان هذه الحركة قد ظهرت في القرن الماضي بالشرق العربي كرد فعل ضد الحكم التركي . وهم لذلك يصفون اضطهاد الازراك (لا العثمانيين) للعرب .

(٢) من شواهد ذلك مقامرات محمد علي ، وحرب القرم ، وازمة

لبنان . ففي جميع هذه الاحداث لعبت كل جمعية تبشيرية دورها لخدمة مصالح الدولة المعنية في المنطقة .

في اسطنبول حوالي سنة ١٨٤٥ . تثقف خوجة بالجزائر على يد والده ، عثمان ، الذي كان حينئذ استادا في العانون . وفي مطلع القرن التاسع عشر سافر الى المشرق العربي ، واسطابول ، والبلقان ، وفرنسا حيث قضى اكثر من عشر سنوات خارج الجزائر . له مؤلفات في التاريخ والادب منها كتابه المشهور « المرآة » و « اتحاف الابداء » و « المذكرات » . ومعظم انتاجه قد ترجم الى الفرنسية التي كان هو نفسه يحسنها .

لعل حمدان خوجة اول مثقف عربي ينال له التنقل في عواصم اوربا التي كانت في مطلع القرن الماضي ملتقى شعارات الثورة الفرنسية ، وميسدان معارك لحروب نابوليون ، وحفلا خصيبا للقوميات النامية . فلا غرابة ، ان نجده فد نائر في كتاباته بالتوراه اليونانية ضد الخلافة ، والثورة البولندية ضد روسيا ، والثورة البلجيكية ضد هولابدا ، والثورة الايطالية ضد النمسا . بل ان خوجة فد تائر واعجب ببعض النظم الديمقراطية في اوربا حيث يقول في كتابه ( المرآة ) - « لقد عشت في اوربا وتدوقت تمار الحضارة ، واني اعد نفسي من بين اولئك الذين يعجبون بالسياسة التي تتبعها بعض الحكومات هناك » .

ان هذه الثقافة الواسعة قد ساعدت خوجة على تنظيم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي . فقد شكل هو وزملاؤه - احمد بو ضربة ، ابن مرابط ، حمدان آغة ، ابراهيم بن مصطفى باشا ، ابن عمر ، والاخوان تركية - حزبا قوميا تحت اسم ( اللجنة المغربية ) التي لعلها كانت اول منظمة سياسية قومية في تاريخ العرب الحديث . بدأت هذه اللجنة تعمل في الجزائر بقيادة خوجة ، ولكن بعد حلها من طرف السلطات الفرنسية واضطهاد اعضائها، انتقل قادتها الى باريس نفسها عام ١٨٣٣ حيث نظموا حملات صحفية وبرلمانية ودعائية هدفها تحرير الجزائر . وقد حرر خوجة وزملاؤه برنامجا سياسيا يتلخص في النقاط التالية : (١) استقلال الجزائر . (٢) جلاء القوات الاستعمارية عنها . (٣) الاعتراف بالقومية العربية في الجزائر على اساس ان الشعبين الجزائري والفرنسي لا ينتميان الى حضارة واحدة . (٤) اطلاق سراح المساجين السياسيين . (٥) الكف عن التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر . (٦) تعيين لجنة تحقيق تتكون من الجزائريين والفرنسيين لبحث الوضع الناتج عن الاحتلال .

ولكي يعطى لهذا البرنامج الطابع الشعبي ، فوض الجزائريون خوجة متحدئا رسميا باسمهم لدى السلطات الفرنسية . وقد ادى خوجة هذا الدور بامانة فكتب اول « المرآة » الذي شرح فيه الوضع السياسي والاقتصادي والعاطفي للشعب العربي في الجزائر ، وارسل مذكرة خاصة الى لجنة التحقيق التي عينتها فرنسا عام ١٨٣٣ ، كما بعث برسالة الى الملك الفرنسي لويس فيليب جاء فيها « ان للجزائريين الحق في التمتع بنفس الحرية وجميع

الفرص التي يشتمع بها الاوروبيون » ولكن مساهمة خوجة لا تتمثل فقط في نضاله السياسي لتحرير الشعب العربي في الجزائر بل ايضا في تعريفه الرائد للقومية حيث عرفها بانها شهامة ( Amour - propre ) امة قامت ترد العدوان الذي يهددها في لغتها ودينها وعاداتها وتقاليدها ووجودها . وهكذا كتب في مذكرته الى لجنة التحقيق الفرنسية ( ١٨٤٤ ) يقول ان بين الشعبين الجزائري والفرنسي حواجز لا يمكن اجتيازها لانهما لا يتحدثان نفس اللغة ، ولا يدنان بنفس الدين ، ولا يمارسان نفس العادات ، ولا يؤمنان بنفس التقاليد . وقد قارن خوجة بين الشعب العربي في الجزائر وبين اليونانيين والبلجيكيين والبولنديين . وقال بانه اذا كان من حق هؤلاء ان ينالوا الحرية والاستقلال ( كما كان يعتقد الفرنسيون ) فانه من حق عرب الجزائر ان يحصلوا على نفس الحقوق . بل لقد تحدى خوجة اعضاء لجنة التحقيق ( التي كانت مكونة من فرنسيين فقط ) فقال « ان الدم الذي يجري في عروق الجزائريين له نفس الحرارة التي في دمكم » مشيرا بذلك الى رغبة الشعب العربي في الجزائر في الحرية والخلاص .

والى جانب مبدأ « الجزائر للجزائريين » او « الوطن العربي للعرب » الذي نادى به خوجة فلا شك ان دعاة القوميتين العربية والاسلامية سيجدون فكرة رائدة في قوله « لقد درست خلال اسفاري مبادئ الحرية الاوروبية التي كانت تقوم على قاعدة الحكم الديمقراطي والجمهوري فوجدت ان تلك المبادئ لا تختلف في جوهرها عن تشريعاتنا ... فليسو درس الديمقراطيين الاوروبيين قوانيننا وعدالة نظمنا لا يمكننا ان نجد فيهم مساعدين بل خصوم مثلما هو واقع الان » . ولعل حمدان خوجة كان اول من اتهم الاتراك بالانحراف عن مبادئ الحكم الديمقراطي . كما يشير بالفكرة التي لم تصبح شعبية الا بعد اكثر من نصف قرن وهي انه ليس هناك تخاصم بين الاسلام والحضارة الحديثة .

ولماذا ، اذن ، لا يظهر اسم خوجة من بين رواد القومية العربية ، ان لم يكن هو رائدها ؟ ولماذا لا تظهر حركته ضمن الحركات التي حاولت التخلص من الاستعمار ، ان لم تكن حركته هي الرائدة ؟ ولماذا يهمل مؤرخو القومية العربية مقاومة الشعب العربي في الجزائر للاحتلال الفرنسي ؟ لعل هؤلاء المؤرخون يؤمنون بما كانت تؤمن به فرنسا وهو ان الجزائر كانت « مقاطعة فرنسية » . ولعلمهم يؤمنون بما كان يؤمن به الاستعمار وهو ان القومية العربية كانت رد فعل ضد الحكم التركي فقط (٣) .

(٣) كل النصوص والاشارات الخاصة بخوجة مأخوذة من مقال الاستاذ جورج يافر G. Yver عنه في « المجلة الافريقية Revue Africaine » المجلد ٥٧ ، سنة ١٩١٣ ، ص. ٩١ - ١٢٨ . وهذا المرجع يحتوي على « مذكرات » خوجة ايضا .

## ٥ - الامير عبد القادر والقومية العربية

ولعل النص التالي يعطي فكرة عن نضال الامير العربي . ومن الجدير بالذكر انه يردد فيه كلمة «رومي» التي كان يقصد بها الاجنبي . ومن المعروف ان كل قومية اصيلة تقوم على التفريق بين معنى المواطن والاجنبي، وهي هنا «العربي» و «الرومي» . لنستمع اليه يخاطب عرب الجزائر سنة ١٨٤٦ :

« لقد اصبحتم الان تحت سلطة رومي ، يقاضيك رومي ، ويدير شؤونكم رومي . لقد داس الرومي حرمه مساجدكم ، واشترى اعراض نسانكم ، واستولى على اجود اراضيكم واعطاها الى قومه .

لقد حان موعد استفاقتكم ! نبوا جميعا واستجيبوا لندائي ! ... ان الله قد وضع سيفه المنتهب في يدي لنمض جميعا الى الامام ونرو حقول وطننا بدماء المعتدين ! » (٤) .

ولم يكن الامير سيد سيف فقط ، لقد كان مفكرا ومؤلفا . ومن كتبه « ذكرى العاقل » و « وشاح الكتائب » وغيرهما . كما كان شاعرا فحلا . وان كل مؤرخ للقومية العربية لا يشير الى فخره بالعرب والتفني بالعبودية (وهي سمة القومي الاصيل ) يفمطه حقه . ولعل الشعر التالي يعكس هذا الاتجاه . ومن الجدير بالذكر انه قد قال هذا الشعر في النصف الاول من القرن الماضي ، اي خلال حروبه ضد الاجانب :

لنا في كل مكرمة مجال  
ومن فوق السحاب لنا رجال  
ورثنا سؤددا للعرب يبقى  
وما تبقى السماء ولا الجبال  
فبالمجد القديم علت قریش  
ومنا فوق ذا طابت فعال

(٤) نوت هذا النص جريدة التايمس The Times الانكليزية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ مارس ، ١٨٤٦ ص ٣ .

صدر حديثا

### ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

تأليف

السيد ابي الحسن علي الحسيني الندوي

الطبعة السادسة من هذا الكتاب القيم

الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت

بالمقارنة الى حمدان خوجة فان الامير عبد القادر معروف لدى عدد غير قليل من القراء . ولكن المعروف عن الامير حتى الان هو انه حارب الفرنسيين في الجزائر بلا هوادة خلال ١٨٣٢ - ١٨٤٧ . وانه قد ارغم في النهاية على التسليم . ولكن بدل ان يسمح له بالهجرة الى المشرق العربي ، كما اشترط حين التسليم ، اخذه عدوه الى سجن ( امبواز ) في فرنسا حيث قضى خمس سنوات ( ١٨٤٧ - ١٨٥٢ ) ، ولم يطلق نابوليون الثالث سراحه الا بعد تدخل الرأي العام الاوروبي ، بما في ذلك اللورد لندن ديري الانكليزي . وبعد اطلاق سراحه ذهب الى سورية حيث مكث الى وفاته عام ١٨٨٣ . ويعرف القراء ان الامير قد تدخل لاصلاح ذات البين في ازمة لبنان عام ١٨٦٤ التي خلفها الاستعمار ، وانه كان موضع احترام العرب والاوروبيين على السواء لشجاعته وشهامته ونضاله .

كل هذا معروف عن الامير عبد القادر ، ولكن الذي لا يعرف عنه حتى الان هو دوره البطولي في الدفاع عن القومية العربية وتدعيمها . فقد كان الامير عربيا قحيا يلقب بالهاشمي حفاظا على نسبه . سافر قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر الى المشرق العربي ، صحبة والده محيي الدين ، حاجا ومتعرفا فزار خلال رحلته الحجاز وسورية والعراق ومصر . وقد كان محمد علي ، والي مصر عندئذ ، من بين الذين قابلوا الامير ورحبوا به . ولكن حين اصبح الاحتلال الفرنسي خطرا على الشعب العربي في الجزائر اعلان الامير الجهاد ( اي قبل ان يعلنه الشريف حسين بحوالي قرن ) ضد الغزاة الاجانب . وقد بايعه الشعب اولا كسلطان للجزائر ثم اتخذ لقب امير المؤمنين وخليفة المسلمين . والحق ان هذا لم يكن مجرد تلقب شكلي ، فالتاريخ يذكر له انه شكل اول حكومة عربية ديمقراطية في الجزائر ، ونظم جيشا شعبيا ، واتخذ له جميع مؤهلات السيادة التي اعترفت له بها فرنسا نفسها مدة من الزمن .

ليس الهدف هنا هو سرد تاريخ الامير عبد القادر ونضاله ضد الاحتلال الاجنبي، ولكن الهدف هو ربط هذا التاريخ والنضال بحركة النضال العربي القومي . فاذا تذكرنا حالة الوطن العربي خلال النصف الاول من القرن الماضي نجد ان الامير بحق رائد من رواد القومية العربية بمفهومها الحديث . فقد كان يدافع عن فكرة هي الحرية وعن حضارة هي التراث العربي الاسلامي ، وعن ارض كانت ، وما تزال ، جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي . كما اعلن الامير الجهاد ضد الاجنبي الفاصب ، ونادى بالتضامن القومي من اجل الخلاص . وقد كانت خطبه ونداءاته واشعاره تعبر عن هذا الاتجاه اصدق تعبير . كل ذلك في وقت لم يكن فيه العرب قد استفاقوا للخطر الذي كان يتهدهم في جزء من وطنهم الكبير .

# الحرز

هذا الرماد الصامت الغافي

متى يفوه ؟

هذا الذي يخفي وراء ظله الاشياء والوجوه

متى يقولها صريحة ؟ « لا فض فوه »

متى شرارة من فمه تتوه ؟

غموضه ، وصمته ، وصبره ، يأكلني

اصراره يقهرني

يمشي معي اتى ذهبت

لم يكن يتركني

يوقظني في الليل كي يسألني

من أنت أيها التراب ؟

وأين طفلك الذي أسلمته بالامس للغراب ؟

وأين حلمك الذي زرعت في النجم ثم غاب ؟

وأين ما حصده من رحلة الشباب ؟

سرا . . . .

سراب . .

هذا الذي يطل قاتما من العيون

وخافه غمامة داكنة من الظنون .

ماذا ؟ وما يكون ؟

عبد العزيز المغالغ

صنعاء

ومنالم يزل في كل عصر

رجال للرجال هم الرجال

اي عربي يعرا هذا الشعور تم لا يشطح به الخيال الى ايام فريش ومجد الامويين وعز العباسيين ؛ واي فارى يعيب عنه ما في هذا الشعر من افكار فومية وسياسيه ؛ ومع ذلك لا نجد اسم الامير يظهر حتى من بين المساهمين في بناء الفومية العربية حين نعرا كتابات اصحاب النظرية التاريخية الشائعة .

بالعكس ، ان بعضهم يفيض في الحديث عن دور محمد علي في هذا الموضوع رغم انه نان يحارب من اجل قضية تختلف تماما عن القضية التي كان يحارب من اجلها الامير عبد الفادر . فقد كان محمد علي اجنبيا بينما كان الامير عربيا اصيلا . كان الاول يحارب من اجل تثبيت الاسره العلويه بينما نان الثاني يناضل لانقاد شعب عربي . كان محمد علي يوجه ضرباته للخلافة الاسلاميه بينما كان الامير يحارب الغزاه الاجانب . كان الاول مؤيدا من طرف دوله او دول اجنبيه بينما كان الثاني مؤيدا من الشعب العربي فقط . والحق ان التاريخ الحديث قد اعطى لكل من الرجلين المتعاصرين ما يستحقاه . فقد انتهى محمد علي واسرته رغم الهاله التي احاطه بها مؤيدوه ، خصوصا الاجانب . اما الامير عبد الفادر فقد خلد كبطل عربي باضل الاستعمار الذي هزم شخصه ولكنه لم يهزم روحه ولا ذكراه .

## ٦ - خانمة

ان اهم نتائج هذا البحث تتلخص في النقاط التالية:  
(١) ضرورة مراجعة النظرية الشائعة عن تاريخ القومية العربية . (٢) وجوب بحث القضايا العربية بطريقة شاملة متكاملة سواء حدثت في المشرق العربي او في المغرب العربي . (٣) حتمية تفسير القومية العربية على انها رد فعل عربي ضد الخطر الاجنبي سواء كان هذا الخطر شرقيا او غربيا . (٤) ما دامت الجزائر اول جزء يقتطعه الاجانب من جسم الامة العربية ، فان مقاومة الشعب العربي هناك تعتبر اول مظهر من مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث . (٥) ضرورة وضع حركة النضال السياسي لحمدان خوجة والنضال العسكري للامير عبد القادر في مكانها من تاريخ القومية العربية على اساس انها حركة رائدة على الصعيدين العقائدي والجماهيري .  
بذلك تتطهر الحركات العربية الثورية من زيف الاستعمار الذي اعطى لكل حركة لونا ، وتلتقي جميعا على المستوى القومي ، مجتازة كل الجواجز المكانية والزمانية المصطنعة ، لكي تساهم في بناء الامة العربية الموحدة وتؤدي رسالتها الانسانية .

ابو القاسم محمد الله

الولايات المتحدة الاميركية

استاذ التاريخ بجامعة ويسكنسن